

الاتجار بالمخدرات/ عملية ضبط كوكايين في الجزائر تكشف عن توجّهات مفزعة  
موجز: تشير قضية "كوكايين غيت" إلى ارتفاع في تهريب المخدرات عبر شمال أفريقيا.

في مايو/ماي الماضي، أُحبط خفر السواحل عملية إدخال كمية قياسية من الكوكايين تبلغ 701 كغ وحجزتها السلطات الجمركية في ميناء وهران، ثاني أكبر مدينة في الجزائر. وقد تم العثور على المخدرات على متن باخرة "فيغا ميركوري" في حاوية محمّلة باللحوم المجمّدة. ويُذكر أن الشحنة بدأت رحلتها في البرازيل، ثم توقفت بالموانئ الإسبانية للاس بالماس وفالنسيا قبل وصولها إلى وهران. كما يُذكر أن السلطات الإسبانية كانت قد قامت بإبلاغ نظيراتها الجزائرية عن الشحنة.

تجدر الإشارة إلى أن ناقلة الحاويات كانت لشركة "دنيا ميت"، أكبر مستورد للحوم المجمّدة في الجزائر، وهي ملك لرجل الأعمال كمال الشبيخي وإخوته. ويُعرف كمال الشبيخي بـ"كمال البوشي" (الجزائر) وهو رجل أعمال قوي يدير عدة مشاريع عقارية وشركات استيراد في الجزائر. وقد تم إيقاف الشبيخي على الفور، مع ثلاثة آخرين من أعضاء الشركة. وأدت الفضيحة التي باتت تُعرف باسم "كوكايين غيت" أو ("فضيحة الكوكايين" كما تناقلتها وسائل الإعلام العربي) إلى إقالة مسؤولين كبار من بينهم المدير العام السابق للأمن الوطني، اللواء عبد الغني هامل. وقد كانت إقالته مرتبطة بوجود اسم سائقه الشخصي في التحقيق.

ما الذي مثله ضبط هذه الكمية بالنسبة للجزائر التي لم تكن تُعتبر إلى الآن طرفا استراتيجيا في التجارة الأفريقية للكوكايين؟

أولا، من المستبعد أن الكوكايين كان موجهها للاستهلاك المحلي. فعلى الرغم من أن حجم السوق المحلية يبقى مجهولا، إلا أنها على الأرجح أصغر من أن تستوعب هذا الكم الهائل من المخدرات. كما أن مخدّر الكوكايين باهظ الثمن في الجزائر حيث يمكن أن يكلف الغرام الواحد بين 20 000 و 40 000 دج (145-290€)، حسب الكميات المتوفرة. لذلك من الأرجح أن الكوكايين كان يُنقل عبر الجزائر للتوزيع النهائي في أوروبا والشرق الأوسط.

ثانيا، هذا يعني أنه تم اختبار هذا الطريق - من البرازيل إلى إسبانيا ثم الجزائر (وهران)، بما في ذلك السوق النهائية - وتأمينه بعناية من خلال معاملات أصغر. فقبل إرسال مثل هذه الكميات الكبيرة، عادة ما تؤمن عصابات المخدرات الطرق وتضمن وجود شركاء محليين أقوياء وأسواق نهائية متينة.

وقد أفاد دبلوماسي وخبير أمني لإيناكت بأن مضبوطات المخدرات لا تمثل سوى 10% فقط من الكمية المتداولة. هذا يعني أنه من المحتمل أن للتجار الجزائريين الذين يسروا هذه العملية علاقات راسخة مع عصابات المخدرات والوسطاء في أمريكا الجنوبية.

إن استخدام وهران كميناء عبور لم يكن وليد الصدفة. فهو ميناء يشغل موقعا استراتيجيا في الاتجار بالمخدرات، باعتباره ميناء هاما في التجارة والمواصلات البحرية ولا يبعد سوى 200 كيلومتر عن إسبانيا. ففي يناير/جانفي 2015، عثرت مجموعة من الصيادين على أكثر من 81 كغ من الكوكايين قرب جزر حيبباس، التي تبعد 10 كم فقط عن شواطئ المدينة.

تتطابق الخصائص الكيميائية لعملية حيبباس مع خصائص عمليات ضبط ومصادرة أخرى أصغر منها حجما كانت قد قامت بها الشرطة في السنوات الأخيرة. وهذا يدفع إلى الاعتقاد بأن نقل الكوكايين عبر الجزائر قد يكون مرتبطا بمورد واحد. تمت آخر عملية ضبط لكمية هامة من الكوكايين في الجزائر قبل عملية وهران، سنة 2015، عندما تم اكتشاف 156 كغ من المخدّر في ميناء براقى. في تلك القضية، تم إخفاء المخدرات في حاوية أغذية تحمل مسحوق حليب مستورد من نيوزيلندا عبر إسبانيا في اتجاه الجزائر.

تجدر الإشارة إلى أن كلتا العمليتين تمّتا في موانئ وباستخدام حاويات متجهة إلى الشواطئ الجزائرية. فما فتئت مكانة الجزائر تزداد أهمية في الاقتصاد العالمي منذ منتصف الألفية الثانية، مع ارتفاع الواردات من 15,25 بليون دولار في عام 2005 إلى 48,6 بليون دولار في عام 2016، مسجّلة بذلك نموّا يبلغ 318%. ويرجع هذا إلى اعتماد سياسة الاستيراد الضخم التي تدعمها إيرادات النفط الهامة المسجلة في هذه الألفية والتي لا تزال تمثل 95% من إجمالي عائدات الصادرات.

وتعكس عملية ضبط الكوكايين الأخيرة في الجزائر عملية مماثلة في المغرب حيث تم ضبط 2,4 طن متري من الكوكايين بالقرب من العاصمة الرباط في أكتوبر 2017. ففي فبراير/فيفري 2018، صادرت السلطات المغربية 541 كيلوغراما من الكوكايين كانت مُحتملة في سفينة شحن قادمة من البرازيل الى الدار البيضاء.

لقد بلغ تهريب الكوكايين في المغرب العربي أعلى مستوياته منذ عام 2016، الأمر الذي يشير إلى ظهور طرق جديدة. وحسب [تقرير المخدرات العالمي لمكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة \(2018\)](#)، ارتفعت كمية الكوكايين التي ضُبطت في شمال أفريقيا بمقدار ستة أضعاف في عام 2016، حيث مثلت 69% من الكمية التي تم ضبطها في أفريقيا. وتصل المخدرات المهزّبة من أمريكا الجنوبية عادة إلى أفريقيا من الساحل الغربي قبل توزيعها في أوروبا والشرق الأوسط. لكنّ التطورات الأخيرة تشير إلى ارتفاع في تهريب الكوكايين عبر الساحل الشمالي الغربي.

وقد يكون هذا التوجّه مرتكزا على الطرق التاريخية لتهريب القنب انطلاقا من المغرب. فهناك [روابط راسخة بين عصابات المخدرات في أمريكا الجنوبية وتجار القنب المغاربة](#) الذين يملكون بدورهم شبكات قوية في شمال غرب الجزائر.

تجعل هذه التحالفات من شمال أفريقيا مركز عبور واعد جدا في مجال الاتجار بالكوكايين، حيث يمثّل الشريط الساحلي بين الدار البيضاء والجزائر مرورا بوهان (الجزائر) والرباط (المغرب) "قوسا ذهبيا" بالنسبة لتجار المخدرات. فهو يوفر نافذة تنفتح على ثلاث قارات وقريبة جدًا من أسواق الاستهلاك الأوروبية. ومن المرجح أن يشهد الاتجار بالكوكايين في السنوات المقبلة ازدهارا فيما يسمّى بـ "ساحل الكوكايين" الجديد لشمال أفريقيا، وذلك بسبب قربها من سوق الكوكايين المربحة في أوروبا، من ناحية، وصعوبة عبور منطقة الساحل والصحراء الكبرى المعرضة لنشوب الصراعات، من ناحية أخرى.

إن مكافحة هذا الاتجاه الجديد تتطلب مزيدا من التعاون بين المناطق وبين القارات للتصدي للاتجار بالمخدرات. كما يُنصح بشدة [بالقيام بعمليات بحرية مشتركة تهدف إلى الحد من الاتجار بالكوكايين، مثل العملية التي أجرتها مؤخرا إسبانيا والمغرب](#). ينبغي على القوات البحرية الجزائرية أن تعزّز الأمن في الموانئ الرئيسية من خلال تحسين برامج التدريب وبناء القدرات.

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن تطبق الجمارك الجزائرية سياسة فعّالة لتعزيز الرقابة على الواردات التي تصل على ناقلات الحاويات. ويجب أن تخضع "سياسة الممر الأخضر" التي تسمح للموردين المحنّكين بتسريع دخول البضائع والسلع، للمراجعة بهدف مواءمتها مع المعايير الدولية الصارمة، كمعايير المنظمة العالمية للجمارك، على سبيل المثال.

يبقى النقاش المتعلق بموضوع الكوكايين غيت" مسيئسا بشدة. وإزالة الصبغة السياسيّة عنه كفيّلة بأن تساعد على تعقب الأطراف المتورطة في هذه العملية وتحديدها ومقاضاتها. ولكن، قبل كل شيء، ينبغي على السلطات الجزائرية أن تذهب إلى ما وراء هذه العملية وأن تفسرها كتحذير يفيد بأن الشبكات الإجرامية تستخدم البلد بشكل متزايد كمنطقة عبور للكوكايين.

اسم ووظيفة المؤلف:

جيهان بن يحيى، المنسقة الإقليمية لمرصد الجريمة المنظمة – شمال إفريقيا، معهد الدراسات الأمنية  
رؤوف فراح، محلّ رئيسي للشأن الأفريقي، مجموعة ساك ديف

التغريدات والاقتباسات المقترحة:

قبل عملية "كوكايين غيت"، لم تكن الجزائر تُعتبر طرفا استراتيجيا في تجارة الكوكايين في أفريقيا

لا شك في أنه تم اختبار طريق التهريب، من البرازيل إلى إسبانيا ثم الجزائر، وتأمينه بعناية من خلال صفقات مخدرات أصغر

وفقا لأحد التقديرات، لا تمثل مضبوطات المخدرات سوى 10% فقط من المخدرات المتداولة

تشير التطورات الأخيرة إلى ارتفاع في تهريب الكوكايين عبر الساحل الشمالي الغربي لأفريقيا

يوفر الشريط الساحلي بين الدار البيضاء والجزائر "قوسا ذهبيا" بالنسبة لتجار المخدرات حيث يوفّر لهم نافذة منفتحة على ثلاث قارات

بأي بلد/منطقة يتعلق هذا المقال؟  
الجزائر، شمال أفريقيا، المغرب

بأي أنواع الجريمة المنظمة يتعلق هذا المقال؟  
الاتجار بالمخدرات